

الأولون

فايز بن سعيد الزهراني



الأولون

وقفات تدبرية مع قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

فايز بن سعيد التهرلاني

حقوق النشر لكل مسلم ومسلمة

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



المحتويات

الموضوع	الصفحة
مدخل	٥
الركع السجود	٩
أصول وفروع	١٧
الطلائع البيضاء	٢٦
طبقات فاضلة	٣٣
كلهم صفوة	٣٩
حقيقة الانتفاص	٤٤

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم
الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فهذا مبحث مختصر في فضل الصحابة والتنويه
السماوي بشأنهم، والكيفية التي وصفهم بها القرآن
الكريم، في آخر سورة الفتح، وبعض المسائل في هذا
الباب، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها الكاتب والقارئ.
رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً.

المؤلف

غفر الله له ولوالديه

١٤٤٧/٤/١ هـ

مدخل

الصحة جزء من تعريف الذات، هذا أمر معلوم
وكما قيل في الأمثال: قل لي من تصاحب أقل لك من
أنت، وقد أنشدوا في ذلك:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

بل إن النبي ﷺ قال في ذلك: «المرء على دين خليله،
فليُنظر أحدكم من يخال»^(١).

وحين رفض مشركو مكة أن يكتبوا: محمد رسول الله
في وثيقة صلح الحديبية نزل القرآن مؤكداً أنه رسول الله؛

(١) أحمد ح ٨٤١٧.

وإن كذب به قومه وعشيرته، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]. قال بعض المفسرين: محمد خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو محمد، يعود هذا الضمير المحذوف على قوله: «(رسوله)» في الآية قبلها^(١). أي في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الفتح: ٢٧-٢٨]. قال ابن عاشور: (وهذا المعنى هو الأظهر هنا؛ إذ ليس المقصود إفادة أن محمداً رسول الله، وإنما المقصود بيان رسول الله من هو؛ بعد أن أجرى عليه من الأخبار من قوله: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» إلى قوله: «ليظهره على الدين كله»، فيعتبر السامع كالمشتاق إلى بيان: مَنْ هذا

(١) التحرير والتنوير ٢٦/٢٠٢.

المتحدّث عنه بهذه الأخبار؟ فيقال له: «محمد رسول الله» أي هو محمد رسول الله. وفيه وجوه آخر لا تخفى، والأحسن منها هذا^(١).

ولمزيد من التعريف برسول الله ﷺ الذي يحدد المشركون رسالته نوه الله تعالى بشأن أصحابه الكرام، ذلك لما للصاحب من دلالة على صاحبه مدحاً وذمّاً، فجعلهم جزءاً من التعريف برسوله، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. قال ابن عطية: ((والذين

(١) التحرير والتنوير ٢٦/٢٠٣.

معه» إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور^(١). فكأن القرآن الكريم يقول للمكذبين: انظروا إلى أصحابه، إلى أخلاقهم، إلى جهادهم، إلى عبادتهم، إلى سمتهم، إلى تجردهم عن الحظوظ الدنيوية، انظروا إليهم لتعرفوا قدر صاحبهم وسيدهم وزعيمهم ونبيهم ورسولهم، فيا لله هذه الكرامة التي أكرم الله بها أصحاب خاتم رسله وأنبيائه، أن جعلهم دليلاً عليه.

(١) المحرر الوجيز ٨٥/٩.

الركع السجود

لقد كان الصحابة الكرام ﷺ على قدر عال من البهاء والتفرد والسمو في إيمانهم وأخلاقهم ومآثرهم، وهذه الحال من الظهور بمكان لا تخفى على من يراهم ولو كانوا من الأمم الأخرى، وقد حكى الحافظ ابن كثير عن الإمام مالك رحمه الله قوله: (بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا)^(١) فهم يقرون بخيريتهم من جهة الخبر ومن جهة المعاينة.

أما من جهة الخبر فكما أخبر الله تعالى عن وصفه لأصحاب نبيه ﷺ في الكتب المنزلة السابقة، حيث جاء

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٦٢/٧.

وصفهم في التوراة بأنهم: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكَفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْنَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. قال مقاتل: (ذلك الذي ذكر من نعت أمة محمد ﷺ في التوراة)^(١).

فهنا خمس صفات مذكورة في التوراة:

الأولى والثانية: أشدء على الكفار ورحماء بينهم، فهم كالجسد الواحد في التراحم والتعاطف والتواسي، وفي نفس الوقت هم الأشدء على الكفار وهم الذين يجاهدونهم ويدلونهم وينصرون المسلمين عليهم، وهذا التباين في هذين الخلقين ليس من باب التناقض، وإنما هو من باب التجرد من الأهواء وقوة ضبط العاطفة بالإيمان، لذا قال ابن عاشور: (وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥٢/٢٠.

تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمداً
دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجيلة وعدم
الرؤية^(١).

وقد ظهرت شدتهم على الكفار وعانيتها الناس في
كل المواطن التي قاتلوا فيها المشركين، في حياة النبي ﷺ
أو بعد وفاته، وكتب السير والتراجم حافلة مملوءة بهذا،
فإذا رابك شيء من ذلك فتذكر قول عمير بن وهب
الجمحي رحمه الله لرؤوس قريش واصفاً لهم رؤيته للصحابة
الكرام قبيل موقعة بدر وهم يتأهبون لقتال عشيرتهم:
ولكن يا معشر قريش رأيت البلى تحمل المنايا، نواضح
يثرب تحمل الموت الناقع، قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ
إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتل
رجلاً منكم^(٢).

(١) التحرير والتنوير ٢٦/٢٠٥.

(٢) البداية والنهاية ٤/٥٥.

وأما التراحم فلا أدل على ذلك من عقد المؤاخاة بينهم قبل الهجرة وبعدها، بل وصل بهم الحال من التراحم أن تكون رابطتهم الإيمانية هي الحاكمة على رابطة النسب والقبيلة في مجتمع يعلي من شأن هاتين الرابطتين ويقدسهما. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «(لا)». فقالوا: تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا^(١). فهؤلاء الأنصار يقترحون على النبي ﷺ استقطاع شطر من أراضيهم الزراعية هبة منهم للمهاجرين، لكن النبي ﷺ يأبى هذا الاقتراح لما فيه من إضرار مادي عليهم، ثم يقبل الاقتراح الآخر؛ وهو أن يتولى المهاجرون مساعدة الأنصار في القيام على الزراعة ومتطلباتها من السقاية والرعاية، مقابل أن يكون لهم نصيب من الثمر، وتبقى الأصول في ملك الأنصار. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون، فقالوا: يا رسول

(١) البخاري ح ٢٣٢٥.

الله، ما رأينا قوماً أبذل من كثيرٍ ولا أحسنَ مواساة من قليلٍ من قوم نزلنا بين أظهرهم؛ لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: «لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم»^(١).

وفي نموذج فريد يروي أنس بن مالك رضي الله عنه تفاصيله؛ فيقول: لما قدم عبد الرحمن بن عوف على رسول الله ﷺ المدينة آخى بينه وبين سعد بن الربيع. قال: فانطلق به سعد إلى منزله، فدعا بطعام فأكلا، وقال له: لي امرأتان وأنت أخي في الله لا امرأة لك؛ فأنزل عن إحدهما فتزوجها. قال: لا والله. قال: هلم إلى حديقتي أشاطركها. قال: لا. بارك الله في أهلك ومالك، دلوني على السوق. قال: فانطلق فاشترى سمناً وأقطاً وباع^(٢).

والثالثة والرابعة: صلاتهم وعبادتهم المشار إليها

(١) الترمذي ح ٢٤٨٧.

(٢) الطبقات الكبير ٤٨٤/٣.

بكثرة الركوع والسجود لأن لفظتي الرُّكْع والسَّجْد تفيدان كثرة وقوعهما، وإخلاصهم لله تعالى في ركوعهم وسجودهم، والعجيب مجيء رؤيتهم بصيغة المضارع المفيدة للتكرار واستمرار الرؤية، فكأنه يقول: متى ما رأيتهم فإنك لن تراهم إلا أهل صلاة وعمل صالح لا يرجون به دنيا ولا حظ نفس وإنما يبعثهم على ذلك حب الله تعالى ورجاء ما عنده من الفضل والرضا واتقاء سخطه، هذا بالرغم من اشتغالهم بمجاهدة الكافرين ومواساة المؤمنين وما يرتبط بهما من متعلقات انتمائهم إلى الكيان الإيماني الاجتماعي.

والقارئ لسير الصحابة رضي الله عنهم يجد هذا الأمر كثيراً، برواية الذين عاينوا ذلك، فهم كثيرون الصلاة، حتى إنك لتخال الصلاة من الأعمال التي يقضون بها وقت فراغهم إذا فرغوا، كيف وقد جاءهم التوجيه القرآني، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝۸﴾ [الشَّرح: ٧-٨] فضلاً عن كونها ملجأهم ومفرجهم في النوائب والضوائق،

والاستدلال على هذا الأمر متوافر جداً، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عبّاد يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوت عباد هذا؟». قلت: نعم، قال: «اللهم ارحم عبداً»^(١).

وهنا يتجلى توفيق الله تعالى للصحابة الكرام للموازنة المحمودة بين الاشتغال بما ينفع خاصة كل واحدٍ منهم عند الله تعالى والاشتغال بما يتعدى نفعه غيرهم محتسبين فيه الأجر من الله، وهذا التوازن المطرد دليل على صحة تصوراتهم الإيمانية وعميق فقههم بالشرعية ولزومهم الصراط المستقيم.

والخامسة: سيماء العبادة البادية عليهم، والتي يراها من يلقاهاهم ويراهم، (قد أثّرت العبادة - من كثرتها وحسنها - في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت

(١) البخاري ح ٢٦٧٢.

بواطنهم استنارت ظواهرهم^(١). ذلك أن العبادة بوجه عام والصلاة بوجه خاص تطيع أهلها بسمت خاص، هو سمت الخشوع والرقعة والورع والديانة في الأفعال والأخلاق، والبهاء والوقار والنور في الصورة والشكل، قال السدي: (الصلاة تحسن وجوههم، وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار)^(٢).

هذه هي صفاتهم في التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام وقرأها علماء بني إسرائيل، وهو وصف صدق أثبتته الله تعالى في القرآن، ثم رآه الناس رأي عين. أفلا يكفي هذا في معرفة فضلهم وتعظيم شأنهم وإعلاء منزلتهم!

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٦٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٦١.

أصول وفروع

وقد جاء وصفهم في الإنجيل على مثل آخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

والشطء في الزرع: ما خرج من حول الأصل^(١)، قال ابن عطية: (هو فراخ السنبله التي تنبت حول الأصل، يقال: أشطأت الشجرة إذا خرجت غصونها)^(٢).

وآزره: قواه، قال ابن فارس: (الهمز والزاء والراء أصل واحد، وهو القوة والشدة)^(٣). وقال ابن السمين الحلبي:

(١) مقاييس اللغة (شطأ) ٦١٢/١.

(٢) المحرر الوجيز ٨٩/٩.

(٣) مقاييس اللغة (أزر) ٥٨/١.

(تأزر النبت: طال وقوي)^(١). فهو هنا يضيف إلى التقوي معنى آخر وهو الإطالة والتمدد، وهو معنى لا يخرج عن القوة والشدة، فإن استطالة الشطء تقويه وتقوي أصله، ولذلك ذكر ابن عطية كلاً من المعنيين فقال: (ولذلك كله معنيان، أحدهما: ساواه طولاً، فالفاعل على هذا المعنى الشطء) يعني أن الشطء استطال حتى ساوى الزرع الأصل، قال: (والثاني: آزره بمعنى أعانه وقواه، فيحتمل أن يكون الفاعل الشطء، ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع؛ لأن كل واحد منهما يقوي صاحبه)^(٢) فيحتمل المعنيين، أن الزرع الأصل والشطء يقومان بعضهما، وكلا المعنيين صحيح، فإن الشطء يطول وفي نفس الوقت يقوي الزرع الأصل ويتقوى به.

وهذا مثل عظيم ضربه الله لأهل الإنجيل، حيث وصف أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم آزرُوا النبي ﷺ وقووه

(١) عمدة الحفاظ ٨٧/١.

(٢) المحرر الوجيز بتصرف ٩٠/٩.

وأعانوه على نشر دعوته لتصل إلى حد الظهور والعلو والانتشار، فدعوتهم جزء من دعوته تتمثل فيها علاقة الجزء بالكل والفرع بالأصل، كعلاقة الشطء بالزرع لأنهم أفضل من اتبع النبي ﷺ، وأكثر الناس حملاً لرسالته ودعوته، ولذلك فإن سيرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم في مجملها، في عصر الخلافة الراشدة بعد موت النبي ﷺ، تعتبر امتداداً للدعوة الإسلامية الجديدة، وتم فيها تشييد العديد من الأحكام والمفاهيم والتطبيقات الشرعية، وبنيت فيها كذلك العديد من الحواضر الجديدة وفق المنظور الإسلامي، وأسست فيها الكثير من التراتيب الإدارية والعلمية مما يعتبر سنة متبعة، حتى اكتمل ببيان الحضارة الإسلامية المصفى من الشوائب، ذو الرؤية المتفردة، والذي هابته وخضعت له الأمم والدول المجاورة.

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو مثل ضربه لمحمد، يقول: بعث الله النبي ﷺ وحده، ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به، ثم يكون القليل كثيراً ويستغلظون ويغيظ الله

بهم الكفار^(١). وهذا المعنى الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنه يفيدنا بأن الزرع هو محمد ﷺ وأن شطأه هو أصحابه؛ قال البغوي: (مثل ضربه الله لرسوله ﷺ إذ خرج وحده، ثم قواه الله بأصحابه كما قوى الحبة بما ينبت منها)^(٢).

بينما يرى ابن جرير الطبري والسعدي أن الزرع - الذي هو الأصل - هو أصحاب محمد ﷺ الذين ابتدأوا الدخول في الإسلام، وأن شطأه هو الذين أسلموا بعد ذلك، يقول الطبري: (وإنما مثّلهم بالزرع المشطّى لأنهم ابتدأوا الدخول في الإسلام وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى)^(٣). ويقول السعدي: (كذلك الصحابة رضي الله عنهم هم كالزرع في نفعهم

(١) جامع البيان ٢٧/١١٤.

(٢) شرح السنة ١٤/٦٨.

(٣) جامع البيان ٢٧/١١٢.

للخلق واحتياج الناس إليهم، ففوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة
قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه
قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه من
إقامة دين الله والدعوة إليه كالزرع الذي أخرج شطأه فأزره
فاستغلظ، ولهذا قال: «ليغيظ بهم الكفار» حين يرون
اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون وهم في
معارك النزال ومعامع القتال^(١).

وهذا معنى عظيم وتنويه رباني جليل بشأن تلك الثلة
الطاهرة إذ هي تنمو وتنمي بعضها الآخر، وتقدمه من
قوتها وحياتها كما يمد الأصل الفرع، وكما يمد الساق
الشطء، وأنها أصل في الدعوة إلى دين الله تعالى، ولها
فضل على من آمن بعدها إلى أن يتم الله نوره ويظهر
دينه، بل وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها،
كيف لا وقد رباهم رسول الله ﷺ بدعوته لهم وتركيتهم لهم

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥/١٦٧٧.

وتعليمه إياهم!

وكان القرآن يقول للكافرين الذين عاندوا هذه الرسالة الجديدة؛ وللمنافقين والذين في قلوبهم مرض الذين يترقبون استئصال هذا الدين وقد حكى الله عنهم في نفس السورة ذلك فقال سبحانه: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]؛ كأنه يقول لهم جميعاً: إذا جحدتم أنه رسول الله وظننتم أن نهاية هذا الدين قد أزفت فانظروا إلى زرعه الذي زرعه وغرسه الذي غرسه، انظروا إلى قوتهم واجتماعهم والتفافهم حول أكابرهم والسابقين منهم، وانظروا إلى تزايد أعدادهم ونمائهم وأنهم يزدون ولا ينقصون ويكثرون ولا يقلون، وأن أرضهم تتسع ولا تضيق؛ أفلا تكون كل هذه الأوصاف كافية للدلالة على أنه ﷺ شيء مختلف عن تلك الزعامات والقيادات والرئاسات، وأن دعوته ﷺ

شيء مختلف عن تلك القوميات والعرقيات والعصبيات!

وإذا نوه الله تعالى بشأن طائفة من الناس من غير الأنبياء، في كتبه المنزلة على رسله، التوراة والإنجيل والقرآن كما رأيت، وجعلها دلالة على أمور عظيمة كرسالة محمد ﷺ وعلى ظهور دعوته، فماذا يعني ذلك غير فضلهم وكرامتهم على الله تعالى، حتى إنه ليحيك في النفس أنه لو لم يرد في تفضيلهم إلا قوله سبحانه: «الذين معه» لكانت كافية في التنويه بشأنهم وفضلهم، فكيف وقد أفاض الله عليهم كل هذه النعوت! فرضي الله عنهم وأرضاهم وحشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم.

وإنه لشأن عظيم أن ينوه الله تعالى، الرب الخالق، القدوس المتكبر، بشأن طائفة من الناس، الأمر الذي يسترعي الانتباه ويلفت النظر ويجعلنا أمام شيء مختلف من البشر ونوع فريد من الناس، الأمر الذي حدا بأئمة السنة وأعلام السلف وفقهاء الشريعة أن يعلوا من شأنهم

فيجعلون حبههم عبادة ودليلاً على صحة الإيمان، ويجعلون
 بغضهم والانتقاص من قدرهم والإغضاء من شأنهم
 ضلالة ونفاق، وسطروا ذلك في متون العقيدة، قال
 الطحاوي في عقيدته: (ونحب أصحاب رسول ﷺ، ولا
 نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم،
 ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا
 بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق
 وطغيان)^(١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة
 الواسطية: (ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار
 رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين
 الأولين، من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله
 ﷺ، حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
 المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ،
 وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»)^(٢).

(١) ٦٨٩/٢.

(٢) ص ١٢٧.

ولهذا فيجب على المسلم اليوم، حيث تباعد الزمن عنهم، ونبتت نابتة النفاق التي تغضي من شأنهم، أن يرسّخ هذا الأصل العظيم من العقيدة الإسلامية في نفسه، وفيمن حوله، وفيمن جعلهم الله تحت رعايته وولايته، عرفاناً للفضل الذي أثبتته الله تعالى لأصحاب نبيه ﷺ، واتباعاً لمنهج أهل السنة والجماعة أهل الحق في تفضيل من فضّل الله تعالى.

الطلائع البيضاء

أرأيت جنود الجيش الفاتح وهم يرفعون رايات النصر
ويتقدمون لدخول المدينة التي غلبوا على جيشها وأهلها؟
أرأيتهم وطبول الفتح تضرب بين أيديهم وهم شاخو
الرؤوس منتشين فرحين؟

في واقع الأمر إنما كانوا يسيرون على أشلاء ثلة من
الأبطال كان نصيبهم أن يكونوا في الصفوف الأولى من
الجيش، أولئك الذين بذلوا أرواحهم من أول لحظة في
سبيل أن يحمل غيرهم راية النصر من خلفهم.

أوعيت ما أرمي إليه؟

لقد كان أصحاب النبي ﷺ مقدمة أمة الإسلام

وباكورة دعوة القرآن، كانوا هم الأشلاء التي عبرنا عليها
إلى العالم!

في كل مرة يطرق فيها سمعي قول الله تعالى:
﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿التوبة: ١٠٠﴾؛ أجد نفسي متضائلاً ومتسائلاً
على سبيل التعجب والإعجاب في آنٍ معاً، أحاول
الولوج إلى مشاعرهم: كيف كان المهاجرون والأنصار
يقرأون هذه الآية؟! وكيف يقوم معروفة أسماؤهم
وشخصهم يتفضل المولى الكريم عليهم بكل هذا الثناء
في كلام خالد مقدس؟!

ثم هو سبحانه وتعالى يخبر الناس بأنه أحل عليهم
رضاه، وأنه أعد لهم النعيم المقيم الأبدي في الجنة، وأنهم
فازوا بها وصاروا من أهلها، يخبرهم بذلك ويبشرهم ولما

تنقض فترة الامتحان وزمن الابتلاء، ويبشرهم بالفوز ولما
يزالوا في مضمار السباق؛ هذا بجد ذاته يمثل كرامة من
كرامات أصحاب محمد ﷺ، فإن الإنسان لا يدري بم
يختم له، ولا يدري ما يعرض له، فتأمل!

وإلى ماذا سبق هؤلاء الأولون من المهاجرين
والأنصار؟

ما هو هذا الأمر الذي نالوا به -بعد فضل الله-
تلك البشرى العظيمة؟

إنه سبق إلى ما دعاهم إليه نبينا ﷺ من الإسلام
وتوحيد الله وما تتطلبه تكاليف ذلك من الأعمال
والمشاق والجهاد معه، فإن النبي ﷺ فوق هجرته غزا في
سبيل الله بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وكانت سراياه التي
بعث بها أصحابه سبعاً وأربعين سرية^(١).

(١) الطبقات ٥/٢.

أمر عظيم أن تسلخ نفسك من مجتمعك وعشيرتك
وناديك، من مرابع الطفولة ومغاني الصبا وندوات
الكهول، من المساجلات المنحرفة وموائد الخمرة
وحوانيت الرذيلة، ثم تلبس ثياب العبودية والتوحيد وتتجه
ببوصلتك نحو السماء، إلى الله تعالى، في إخلاص وتجرد
وانقياد تام، ومع قوم لا تربطك بهم تلك الروابط المعروفة
المألوفة، ما ثم سوى رابط الفكرة والإيمان، أياً كانت
الأعراق وأياً كانت الأعراف.

أن تقف بمفردك -ربما- أو مع نفر قليلين لتواجه
تياراً جارفاً، بل طوفاناً هادراً من المعتقدات الباطلة والنظم
المنحرفة والتقاليد الممجوجة والتي زينها لهم الشيطان
فعظموها وقدسوها ودانوا بها ودافعوا عنها؛ شيء عظيم!
هكذا كان الصحابة الكرام.

والابتداء والتأسيس في الدعوات من أشق الأمور
على النفس، فهو شاق جداً من جهة الشعور بالغربة

والاختلاف والتباين في الاتجاهات، ونزع النفس من
مألوف العادات والأعراف وسلخها من ثياب العصبية
والحمية الدنيوية.

وهو شاق أيضاً من جهة التخالف المؤدي إلى نشوء
العداوات وصناعة مناخ من التوتر والمنازعات
والمشاحنات، وربما أفضى إلى نشوء الفجوة مع الأحباب
والخلان والأصحاب.

وهو شاق جداً لعظم مسؤولية التأسيس، إذ لا خبرة
مسبقة، ولا أثارة من علم، ولا دعوة شبيهة تقبل المحاكاة،
وهنا يُطل القلق برأسه ويتجول الخوف على الدعوة
الجديدة في أرجاء النفس، والخوف من الانهزام أمام
تكاليفها ومشاقها.

وهو شاق جداً لأن المؤسسين يمثلون قدوات لغيرهم
من الذين يأتون بعدهم، فهم يفتحون لهم الباب ويشقون
لهم الطريق، ويمثل تراجعهم نكسة لهذه الدعوة الناشئة،

ربما لا تستطيع التعافي من آثارها، وإخفاقاً على المدى البعيد يلقي بظلاله السيئة على الذين يريدون أن يسلكوا هذه الطريق يوماً ما.

ولأجل تقريب صورة المعاناة والمشقة اللتين لحقتا بالصحابه الكرام ﷺ سأورد لك أثراً هبته أول مرة سمعته، ولا يزال محل انتباهي إلى هذه اللحظة: عن جبير بن نفير قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود ﷺ يوماً، فمر به رجل، فقال: "طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أننا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت". فاستغضب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه، فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، لا يدري لو شهدده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كَبَّهَم الله على مناخرهم في جهنم لم يحييوه، ولم يصدقوه، أولاً تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، مصدقين لما جاء به نبيكم، قد كُفِيتُم البلاء بغيركم، والله لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال

بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقانٍ فرق به بين الحق والباطل، وفرّق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والده وولده أو أخاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقرر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار^(١).

فتأمل وصف المقداد بن الأسود رضي الله عنه لمعاناة التكاليف المترتبة على صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها مزيج من المعتقدات والمشاعر والجهود والعذابات التي لا يطيقها كل أحد، بل يرى أنها من البلاء الذي يمتحن فيه الإيمان ويعز فيه الثبات والتمسك بالحق، يقول: قد كفيتم البلاء بغيركم.

(١) أحمد ح. ٢٣٨١٠.

طبقات فاضلة

والسابقون من المهاجرين هم الذين سبقوا غيرهم من الناس في الهجرة وتحمل مشاقها والتغرب عن الوطن وتغيير تعريف الوطن والعصبية والجماعة ومؤازرة النبي ﷺ، فله تلك الأرواح الطاهرة والنسمات الصادقة هجرت مألوفاتها وتركت ديارها وتخلت عن ذكرياتها وباعت أرواحها من أجل الدعوة التي جاء بها محمد ﷺ.

والسابقون من الأنصار هم الذين سبقوا غيرهم إلى نصرة النبي ﷺ وبذل المال والدار والسلاح له، وتسييده عليهم طوعية دون إكراه، وتسليم مجتمع بأكمله إليه ليحكمه بما يشاء، والنزول عن الأعراف السائدة والمفاخر السائرة إلى عرف الإسلام ومفخرة القرآن، فله تلك الرباع والأموال والدور والمزارع والبساتين والدكاكين التي

بذلت للإسلام ونصرة رجل من قريش يسمونه محمداً،
هو أجنبي عنهم؛ لكنهم صدقوه وآمنوا به ونصروه.

ولكن أهل العلم اختلفوا في تحديد المدة التي بها يختم
من سماهم الله تعالى «السابقون الأولون» فمنهم من
حدّثها بالصلاة إلى القبلتين، أي أن الذين أدركوا الصلاة
إلى بيت المقدس هم السابقون، وهو قول أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه وسعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين^(١).
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة كان يتجه في
صلاته نحو القبلة الأولى «بيت المقدس» وكان على ذلك
حتى جاءه الأمر الإلهي بتحويل القبلة إلى الكعبة، وذلك
في النصف من شعبان في السنة الثانية من الهجرة، أو
على رأس ثمانية عشر شهراً من هجرته صلى الله عليه وسلم^(٢).

(١) المحرر الوجيز ٧٥/٥.

(٢) البداية والنهاية ٣١/٤.

ومنهم من حدها بشهود غزوة بدر، كعطاء^(١).

ومنهم من حدها بشهود بيعة الرضوان في الحديبية، كالشعبي^(٢)، وهو قول جمهور العلماء واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا^٤ وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، والفتح هنا هو الحديبية، وقد أبانت الآية عن التفريق بين الفريقين.

ومنهم من لم يحدها بمدة، وإنما حدها بالوصف، فكل صحابي هو سابق تشمله الآية، فعن أبي صخر حميد بن زياد الخراط قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي: أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما أريد الفتن. فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة

(١) معالم التنزيل ٣١٨/٢.

(٢) معالم التنزيل ٣١٨/٢.

(٣) منهاج السنة ٢٦/٢.

في كتابه؛ محسنهم ومسيئهم. قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال: ألا تقرأ «والسابقون الأولون» الآية؟ أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه فيهم. قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، يقول: يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك. قال أبو صخر: فوالله لكأني لم أقرأها قبل ذلك، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها عليّ محمد بن كعب^(١).

وفي التفسير الكبير كذلك لم يحدها بمدة وإنما بالوصف، فهو يرى أن كل من سبق إلى الهجرة وكل من سبق إلى نصرته الرسول ﷺ فهو مقصود في الآية، فيقول: (والصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة، وفي النصرة، والذي يدل عليه أنه ذكر كونهم سابقين ولم يبين أنهم

(١) موسوعة التفسير المأثور رقم ٣٣٣٧٢.

سابقون في ماذا، فبقي اللفظ مجملاً، إلا أنه وصفهم
بكونهم مهاجرين وأنصاراً، فوجب صرف ذلك اللفظ إلى
ما به صاروا مهاجرين وأنصاراً وهو الهجرة والنصرة،
فوجب أن يكون المراد منه السابقون الأولون في الهجرة
والنصرة؛ إزالة للإجمال عن اللفظ. وأيضاً فالسبق إلى
الهجرة طاعة عظيمة؛ من حيث إن الهجرة فعل شاق
على النفس، ومخالف للطبع، فمن أقدم عليه أولاً صار
قدوة لغيره من هذه الطاعة، وكان ذلك مقوياً لقلب
الرسول عليه الصلاة والسلام، وسبباً لزوال الوحشة عن
خاطره، وكذلك السبق في النصرة، فإن الرسول عليه
الصلاة والسلام لما قدم المدينة، فلا شك أن الذين سبقوا
إلى النصرة والخدمة، فازوا بمنصب عظيم^(١).

وهذا القول يتفق مع قول جمهور العلماء وهو تفسير
له وتوضيح لحديثه، على أن الذين حدوها بمدة، لا

(١) التفسير الكبير ٦/١٣٤.

باعتبار فضيلة الوقت، وإنما بما تضمنه من الأعمال العظيمة كالإنفاق والقتال في سبيل الله، لذلك قال تعالى في الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

ولهذا قال ابن تيمية: (والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية، فإنه كان أول فتح مكة)^(١).

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٨٩.

كلهم صفوة

أتدري ما الذي كان يؤرق المعمرين من أصحاب
النبي ﷺ ؟

كانوا يتأولون قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ
عَذَابَ أَلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ
﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠] . ولذلك تورع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عن كثير من الطيبات من المأكول والمشرب وتنزه عنها
لأجل هذه الآية^(١)، على الرغم من كون هذه الآية صريحة
الخطاب في الكافرين، أما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقد
أُتي بطعام وكان صائماً، فقال: قُتِل مصعب بن عمير

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٨٤/٧.

وهو خير مني، كُفِنَ في بردة؛ إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقُتِلَ حمزة وهو خير مني، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أُعْطِينَا من الدنيا ما أُعْطِينَا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام^(١).

وكان يؤرقهم قولاً سمعوه من حبيبهم ﷺ عن مصير بعض أصحابه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(٢). وهذا الحديث رواه أيضاً ابن عباس وابن مسعود وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم بلفاظ متقاربة.

لقد كان لهذين النصين تأثير عجيب في خوف الصحابة الكرام من سوء المنقلب، عن طارق بن شهاب

(١) البخاري ح ٤٠٤٥.

(٢) البخاري ح ٦٥٨٢.

قال: عادت خباباً [يعني: ابن الأرت] بقايا من أصحاب محمد ﷺ فقالوا: ابشر أبا عبد الله؛ ترد على إخوانك الحوض، فقال: (وعليها رجال إنكم ذكرتم لي أقواماً، وسميتم لي إخواناً مضوا لم ينالوا من أجورهم شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما نخاف أن يكون ثوابنا لتلك الأعمال)^(١).

هذا ما يختلج في صدورهم ويطفو على قلوبهم وتفيض به ألسنتهم، لكنهم في حقيقة الأمر هم خير الناس وأفضل الناس، فقد زكاهم الله تعالى في كتابه كما مر معك، وزكاهم نبيه ﷺ في كثير من الأحاديث، بصور مختلفة، فرما أثني عليهم جميعاً، وربما أثني على جزء منهم، وربما أثني على أفراد منهم حسب ما اقتضاه الحال حينها.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير

(١) مسند الحميدي ١/٢٣٩.

الناس قرني»^(١). وهذه الشهادة العظيمة بأفضليتهم بعد الأنبياء رواها عدد من الصحابة، منهم ابن مسعود وعمران بن حصين وعائشة وأبو هريرة وعمر بن الخطاب والنعمان بن بشير وبريدة الأسلمي رضي الله عنه، وهي مخرجة عند الشيخين والإمام أحمد والترمذي وابن ماجه. قال الحافظ ابن حجر: (والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث: الصحابة)^(٢).

وحين أراد عبيد الله بن زياد الوالي ليزيد بن معاوية التقليل من شأن أحدهم، وهو عائذ بن عمرو رضي الله عنه، قال له في حوار بينهما: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ. فقال له عائذ بن عمرو رضي الله عنه على سبيل الاستنكار والتفريع: (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم)^(٣). وابن زياد يريد القول

(١) البخاري ح ٢٦٥٢، ومسلم ح ٢٥٣٣.

(٢) فتح الباري ٨/٧.

(٣) مسلم ح ٤٧١٠.

بأنك لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم، بل من سقطهم، لكن عائذ بن عمرو أجابه بأن الصحابة ليس فيهم نخالة، فكلهم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا تخلط فيهم ولا منهم^(١).

وعلى الرغم من أن عائذ بن عمرو من أهل بيعة الرضوان، الذين أثنى الله عليهم ورسوله ثناء مخصصاً، إلا أنه لم يدافع عن نفسه فحسب، بل ودافع عن كافة أصحاب النبي ﷺ لأنه يعتقد وجوب ذلك وديناً يدين الله تعالى به، وهو مقتضى أصول الشريعة، فإن النبي ﷺ نهى عن التعرض للصحابة الكرام بما ينقص من قدرهم، فقال: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)^(٢). وفي نص أكثر

(١) انظر: المنهاج ٤٢٠/١٢.

(٢) البخاري ح ٣٧٨٣، ومسلم ح ٢٥٣٧.

حساسية قال ﷺ : (احفظوني في أصحابي)^(١).

(١) ابن ماجه ح ٢٣٦٣.

حقيقة الانتقاص

وعلى الرغم من أن عائذ بن عمرو من أهل بيعة
الرضوان، إلا أنه لم يسلم من الإيذاء والانتقاص ممن لا
يعرف للصحابة قدرهم وفضلهم في الإسلام، حتى صار
حبهم والترضي عنهم والدعاء لهم والثناء عليهم وتفضيلهم
على سائر الناس بعد الأنبياء، حتى صار ذلك باباً من
أبواب الأصول العلمية التي يتميز بها مذهب أهل السنة
والجماعة في الاعتقاد، وعدّ أئمة السنة من يخالف ذلك
ضالاً منحرفاً.

قال ابن تيمية: (وهذا هو أصل مذهب الرافضة،
فإن الذي ابتدع الرفض كان يهودياً أظهر الإسلام نفاقاً،
ودسّ إلى الجهاد دسائس يقدر بها في أصل الإيمان، ولهذا
كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة؛ فإنه يكون

الرجل واقفاً ثم يصير مفضلاً ثم يصير سباباً ثم يصير غالياً
ثم يصير جاحداً معطلاً، ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة
الزندقة من الإسماعيلية والنصيرية، وأنواعهم من القرامطة
والباطنية والدرزية، وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق،
فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في
الرسول ﷺ كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء
طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه
ليقول القائل: رجل سوء؛ كان له أصحاب سوء، ولو
كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين. وأيضاً؛ فهؤلاء
الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي ﷺ، وهم الذين
نقلوا فضائل عليٍّ وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق
بما نقلوه من الدين، وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعلي ولا
لغيره^(١).

وهذا الكلام النوراني من شيخ الإسلام يعود إلى

(١) الفتاوى الكبرى ٤/٤٤٦.

الأصل في دلالة الآية الكريم، وهو التعريف بالنبي ﷺ من خلال أصحابه، فيكون ذم أصحابه ذماً له، حاشاه ﷺ.

وبهذا يُعلم أن هذا المسلك البدعي يفضي إلى هدم بناء الإسلام، وإلى تقويض رسالة نبينا ﷺ، فلا تعجب حينئذ من كون القرآن العظيم يعرّف محمداً ﷺ من خلال ثنائه على أصحابه الكرام.

وإن من واجبات التربية الإسلامية أن تضمّن مقرراتها معرفة قدر الصحابة الكرام وفضلهم وسابقتهم وخيريتهم لتنشأ الأجيال على هذا الأصل العظيم ولترتبط بتاريخها الأصيل، ولتحقق الانتماء لرسالة النبي ﷺ ولتشكل هويتها وفقاً لذلك، ولتكون قادرة على رفض كل دعوة تغضي عن شأن الصحابة أو تتهمهم أو تنبذهم، رفضاً وجدانياً واستنكاراً باللسان والقلم في المجالس والمجامع والمنابر والمدونات. جمعنا الله وإياك بهم في جنات عدن، وجزاهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على
عبدہ ورسولہ محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين.

الأولون

فايز بن سعيد التمهري